من المستحيل ايجاد منطقة على وجه البسيطة خالية من السكان، دأبت الحركة الصهيونية على تنفيذ اهدافها في فلسطين ضمن رؤية تتجاهل رسمياً ولفظياً، بصورة ممجوجة ومفضوحة، وجود الفلسطينيين، وتسعى، عملياً وبصورة غير رسمية، الى طرد هذا الشعب «غير الموجود».

يتناقض مبدأ نفي «المنفى» وجمع «الشتات» تناقضاً حاداً مع وجود الشعب العربي الفلسطيني في وطنه؛ وبالتالي اعتمد على نفي القائم وتشتيت الفلسطينيين واقتلاعهم من وطنهم. كما ان مبدأ تأسيس دولة يهودية في «ارض ـ اسرائيل» يتناقض مع تطلّعات الشعب الفلسطيني في انشاء دولة مستقلة في فلسطين، وبالتالي اعتمد على انكار حق الفلسطينيين في انشاء دولة خاصة بهم في وطنهم فلسطين؛ اما الهدف الصهيوني الثالث، الذي سعى الى جعل الدولة اليهودية ملجأ آمناً لليهود، فقد تمخّض عنه عدم توفّر مكان آمن للفلسطينيين، وتحويل غالبية الفلسطينيين الى لاجئين غير آمنين.

وخلافاً للحركات الاستعمارية الاخرى، لم يكن هدف الحركة الصهيونية الاساسي استغلال السكان الاصليين كمصدر عمل رخيص وسوق لمنتجاتهم. فقد استنتج القادة الصهيونيون ان اتباع هذا النموذج، الذي لن يتمخّض عنه دولة يهودية بل دولة يكون فيها المستوطنون اليهود اقلية تحتل الشريحة العليا في المجتمع، بينما يشكّل الفلسطينيون والذين يحتلون الشرائح الدنيا في المجتمع، الاغلبية، يحمل في ثناياه خطراً يؤدي الى وأد المشروع الصهيوني على المدى البعيد. لذا، قرر القادة الصهيونيون العمل على «التخلّص» من الفلسطينيين، وطردهم الى خارج فلسطين. ومن الجدير بالذكر ان الصهيونيين، وخاصة «المعتدلين» منهم، تجنّبوا، في معظم الاحيان، استعمال كلمة «طرد»، لكونها تحمل صفات الوحشية والعنف، واستعاضوا عنها بكلمات تؤدي المعنى ذاته، لكنها تُجمِّل وتنمِّق الفكرة، مثل «نقل» و«تبادل سكان» و«اعادة اسكان» و«تخفيف الكثافة السكانية».

آراء المنظّرين الصهيونيين

عندما كان يضع الخطوط العريضه للبرنامج الصهيوني الهادف الى تأسيس دولة في فلسطين وجوارها، كتب مؤسس الحركة الصهيونية، ثيودور هرتسل، في يومياته، في العام ١٨٩٥ ، حول موقف الحركة الصهيونية من العرب الفلسطينيين: «سنحاول نقل الشرائح الفقيرة الى ما وراء الحدود، بهدوء ودون اثارة ضجة، بمنحهم عملاً في الدول التي سينقلون اليها. لكننا سوف لن نمنحهم اي عمل في بلادنا»[1].

ما كتبه هرتسل، في يومياته، بهدوء وترو، دون ذكر كلمة العرب، او الفلسطينيين، عبّر عنه، بحماس، يسرائيل زنغويل، احد مساعديه الاوائل. ففي العام ١٨٩٧، زار زنغويل فلسطين واطلع، عن كثب، على الاوضاع فيها، ولمس وجود الشعب العربي الفلسطيني. ومنطلقاً من ان فلسطين وجوارها يجب ان تكون وطناً لليهود فقط، دعا زنغويل الى طرد الفلسطينيين بالقوة. فقد اشار، في احدى خطبه الصريحة، في نيويورك، الى ان «ارض ـ اسرائيل نفسها يسكنها العرب». واضاف، «علينا ان نستعد لطردهم من البلاد بقوة السلاح، تماماً كما فعل آباؤنا بالقبائل التي سكنتها؛ والاّ، فعلينا مواجهة مشكلة وجود سكان غرباء كثيري العدد، غالبيتهم مسلمة، وقد اعتادوا على احتقارنا منذ اجيال. اننا، اليوم، لا نشكل سوى ١٢ بالمئة من مجموع السكان، ونملك اثنين بالمئة، فقط، من الارض».

لم يقتصر الموقف الصهيوني المعادي، والمنادي، بطرد العرب، على هرتسل وزنغويل، بل امتدّ ليشمل التيار الصهيوني اليساري. فبعد مرور عام على تأسيس الحركة الصهيونية، نشر نحمان